الإخبات في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

هيفاء كرار

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية

وزاة التعليم

جامعة أمّ القرى

عمادة الدراسات العليا

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنّة

الإخبات في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

اسم الطالبة:

هيفاء بنت ركا بن كرار بن محمد

إشراف:

د. سلمى بنت داود بن إبراهيم

الفصل الدارسي الأول

1436 – 1437هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

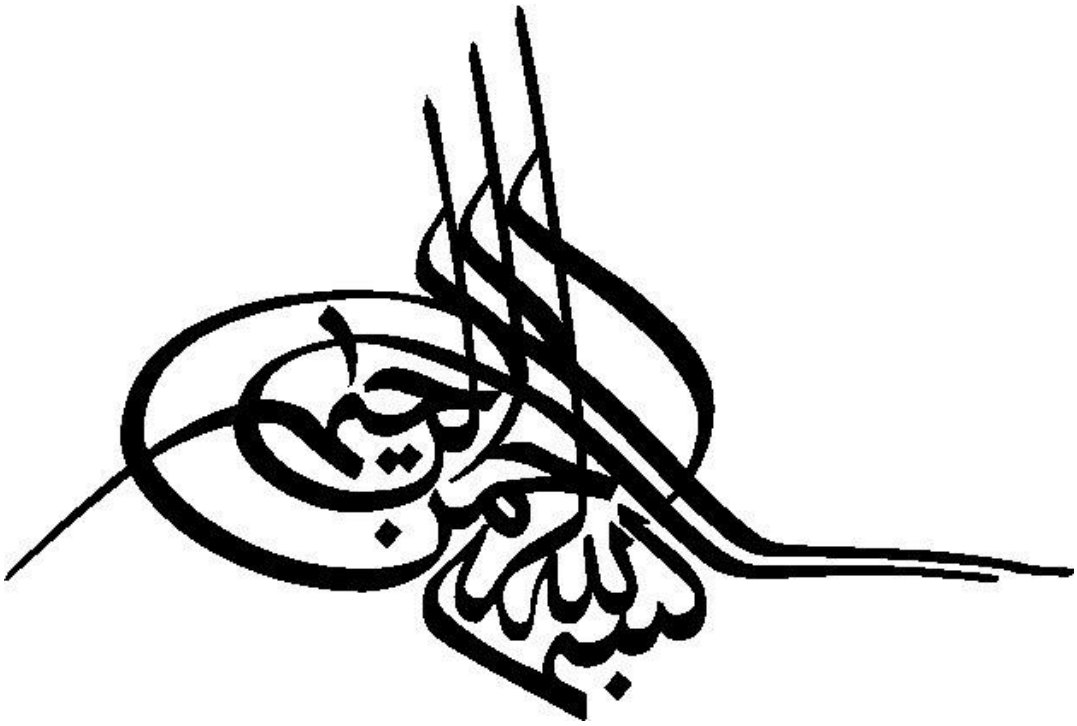
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي يسّر القرآنَ للذكرِ وجعله بلاغًا للعابدين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ أفضلِ الأنبياء والمرسلين، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه الطاهرين، أما بعد

فإنّ الله – عزّ وجلّ– جعل القرآن تذكرةً للعباد، يتذكرون به الأعمالَ التي تنفعهم فيفعلونها، والأعمالَ التي تضرّهم فيتركونها. ومن الأعمال التي دعا إليها القرآن أعمالُ القلوب، التي بصلاحها صلاحُ العبد واستقامته وسعادته وفوزه بالحياة الطيبة.

ومن أعمال القلوب التي وردت في القرآن الكريم الإخبات، وهو من أعظم الصفات، وأجلّ المنازل التي وصف الله بها عباده المؤمنين، وهو "أول مقامات الطّمأنينة، كالسكينة واليقين والثقة بالله ونحوها"[1].

ومن هنا جاء موضوع البحث "الإخبات في ضوء القرآن الكريم"، وهو دراسة موضوعية لما جاء في القرآن من الآيات التي وردت في هذه الصفة، وبيان لدلالاتها ومعانيها.

وجاء البحث في هذا الموضوع لحاجتنا إلى التفقه في أعمال القلوب؛ إذ القلب ملك الأعضاء، وهي تبعٌ له في صلاحه أو فساده، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، "أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ"[2]. واخترت منها (الإخبات) لما فيه من معنى الإنابة إلى الله، وسكون القلب إليه، وهذا الذي تكون به حياة العبد الحياة الحقيقة، "فإن في القلب فاقةً لا يسدُّها شيءٌ سوى اللهِ تعالى أبدًا، وفيه شَعَثٌ لا يَلُمُّه غيرُ الإقبالِ عليه، وفيه مرضٌ لا يشفيه غيرُ الإخلاصِ له، وعبادتِه وحده، فهو دائمًا يضرب على صاحبه حتى يسكنَ ويطمئنَّ إلى إلهه ومعبودِه؛ فحينئذ يباشرُ روحَ الحياة، ويذوقُ طعمها، ويصير له حياةٌ أخرى غيرُ حياةِ الغافلين"[3].

وتمّ تقسيم البحث على الوجه التالي:

مقدّمة، واشتملت على أهمية الموضوع وسبب اختياره.

المبحث الأول: حقيقة الإخبات، وفيه مطلبان:

---

[1] "مدارج السالكين" لابن القيم (2/ 168).

[2] متفق عليه، أخرجه البخاري (كتاب الإيمان/ باب فضل من استبرأ لدينه/ 52)، وأخرجه مسلم (كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات/ 1599) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

[3] "إغاثة اللهفان" لابن القيم (1/ 118- 119).

المطلب الأول: معنى الإخبات لغة

المطلب الثالث: الإخبات في القرآن الكريم

المبحث الثاني: فضل المخبتين وعلاماتهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منزلة الإخبات

المطلب الثاني: علامات المخبتين

الخاتمة: وفيها ذكر أهمّ النتائج

وكان عملي على الخطوات التالية:

1. جمعتُ الآيات التي ورد فيها اشتقاق لفظة "الإخبات"، من كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".
2. بحثتُ في معاجم اللغة على معنى (الإخبات) بعد أن أعدتُ اللفظة إلى جذرها (خبت).
3. قرأتُ في تفسير هذه الآيات عدّة كتب، أهمها: تفسير الطبري، وتفسير ابن عطية، وتفسير ابن كثير، وغيرها.
4. عزوتُ الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية.
5. خرّجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث مخرجًا في الصحيحين اكتفيتُ بهما.
6. عزوتُ إلى الكتب والمصادر بذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف، والجزء والصفحة.
7. إذا تكرّرت الإحالة للكتاب فإني أعيد ذكر اسم المؤلف والكتاب، ولا أكتفي بقولي: "مصدر سابق".
8. توضيح غريب الكلمات الواردة في البحث.
9. لم أترجم للأعلام والشخصيات المذكورة في البحث.
10. ذكر النتائج في خاتمة البحث.

والحمد لله أولًا وآخرًا على ما أعان ويسّر، والشكر له دائمًا وأبدًا على ما أنعم به وتفضّل، ثم الشكر للدكتورة الفاضلة سلمى بنت داود، التي أرشدتنا للبحث في التفسير الموضوعي، وبينت لنا الخطوات التي نتبعها في هذا اللون من ألوان التفسير، فأسأل الله أن يشكر لها، ويجزيها خير الجزاء.

هذا وما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان، وأستغفر الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول: حقيقة الإخبات

المطلب الأول: معنى الإخبات لغة

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية لمعرفة المعنى اللغوي لهذه اللفظة، نجد تفسيرها كالآتي:

"الخَبْتُ: ما اتسع من بطون الأرض، وجمعه خُبُوت"[1]. وقال ابنُ الأعرابي: الخَبْتُ: ما اطمأنّ من الأرض واتسع[2].

قال امرؤ القيس:

(فلما أَجَزْنا ساحةَ الحيِّ وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حقافٍ[3] عَقَنْقَلِ[4])[5]

وقال العَدَويّ: الخَبْتُ: الخفيُّ المطمئن. قال: وخَبَتَ ذكره: أي إذا خفي. وقال شَمِر: الخبت: ما تطامن من الأرض وغَمَضَ، فإذا خرجتَ منه أفضيتَ إلى سعة[6].

وقد بيّن العلّامة ابن فارس –رحمه الله تعالى– الأصل الجامع لهذه المعاني، فقال: "الخاء والباء والتاء أصل واحد يدل على خشوع"[7].

هذا أصل معنى الكلمة في اللغة، "ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع"[8]، يقال: فيه خَبْتة: أي تواضع[9]. "

وقيل في العلاقة بين أصل معنى الخبت وبين استعماله في اللين والتواضع: أنّ "المخبت المتواضع، الذي لا تكبر عنده. وأصل المخْبِت مِن سَلَكَ الخَبْتَ. وهو المكان المتخفِّض ضدّ المصعد. ثم أُستعير للمتواضع؛ كأنه سلك نفسه في الانخفاض"[10].

---

[1] "العين" للخليل بن أحمد (4/ 241) مادة (خبت).

[2] "تهذيب اللغة" للأزهري (7/ 310، 311، 312) مادة (خبت).

[3] حقافٍ: الرمل المنحني. "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ص258 مادة (حقف).

[4] عقنقلِ: العقنقل من الرمل، وهو ما ارتكم منه. "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ص649 مادة (عقل).

[5] "ديوان امرئ القيس" ص39.

[6] "تهذيب اللغة" للأزهري (7/ 311، 312) مادة (خبت). باختصار.

[7] "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ص319 مادة (خبت).

[8] "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني ص272.

[9] "لسان العرب" لابن منظور (2/ 30) مادة (خبت).

[10] "التحرير والتنوير" لابن عاشور (17/ 260).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: الإخبات في القرآن الكريم

وردت مشتقات لفظة "الإخبات" في كتاب الله عزّ وجلّ، في ثلاثة مواضع، موضع في سورة هود، وموضعين في سورة الحجّ، وإليكم ذكر هذه المواضع على الترتيب:

الأول: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

الثاني: قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[2].

الثالث: قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[3].

أما الآية الأولى، فقد وردت في السياق الآتي: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[4]. فـ"لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثَنَّى بذكر السُّعَداء، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فآمنت قلوبُهم وعَملت جوارحُهم الأعمال الصالحة، قولًا وفعلًا، من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات"[5].

وقوله: {وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ} اختلف المفسرون في معنى الإخبات:

فروي عن ابن عباس وقتادة: الإخبات: الإنابة.

وروي عن ابن عباس أيضًا: الخوف.

---

[1] هود: 23.

[2] الحج: 34- 35.

[3] الحج: 54.

[4] هود: 18- 24.

[5] "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (4/ 315).

وروي عن مجاهد: الاطمئنان.

وروي عن قتادة أنه قال: التخشّع والتواضع[1].

"وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا؛ لِأَنَّ الْإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَمِنَ الْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْخُشُوعِ لَهُ غَيْرَ أَنَّ نَفْسَ الْإِخْبَاتِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُعُ"[2].

وقيل: "المخبت المتواضع، الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض. وقال عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ: "الْمُخْبِتُونَ الَّذِينَ لَا يَظْلِمُونَ، وَإِذَا ظُلِمُوا لَمْ يَنْتَصِرُوا"[3]. "وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم"[4].

"وهذه الأقوال تدور على معنيين: التّواضع، والسّكون إلى الله- عزّ وجلّ-، ولذلك عدّي بإلى، تضمينا لمعنى الطّمأنينة، والإنابة والسّكون إلى الله"[5].

وأما الموضع الثاني، فقد أتى في سياق إخبار الله -عزّ وجلّ- وامتنانه على العباد "أنه لم يَزَل ذبحُ المناسك وإراقةُ الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل"[6]، فقال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[7]. أي "ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكًا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكًا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره"[8].

وقوله: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} "اعتراض بين سوق المنن، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم[9]. ومناسبة هذا الاعتراض لما قبله أنه "لما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجاداً أو تكميلاً أو إدامة، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبرٍ ولا شماخة، وكان منشأ الطمأنينة والتواضع اللذين هما أنسب شيء لحال الحجاج المتجرّد من المخيط، المكشوف الرأس،

---

[1] يُنظر "جامع البيان" لابن جرير الطبري (12/ 373- 375)، و"المحرر الوجيز" لابن عطية (3/ 161).

[2] "جامع البيان" لابن جرير الطبري (12/ 376).

[3] "المحرر الوجيز" لابن عطية (4/ 122).

[4] "معالم التنزيل" للبغوي (5/ 386).

[5] "مدارج السالكين" لابن قيم (2/ 168).

[6] "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (5/ 424).

[7] الحج: 34- 35.

[8] "تيسير الكريم الرحمن" للسعدي ص538.

[9] "التحرير والتنوير" لابن عاشور (17/ 260).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطالب لوضع أوزاره، وتخفيف آصاره، لستر عوراه، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال، وخلال الجمال والجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} أي المتواضعين المنكسرين، من الخبت – للأرض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع"[1].

"والمراد بهم هنا المؤمنون، لأن التواضع من شيمهم، كما كان التكبر من سمات المشركين، قال تعالى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}[2]."[3]. ثم كشف عن علامات عباد الله المخبتين، وسيكون الحديث عن هذه العلامات العلامات في المبحث الثاني.

وأما سياق الموضع الثالث فهو قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[4].

قيل: إنّ السبب الذي من أجله أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واغتمّ به، فسلّاه مما به من ذلك بهذه الآيات[5]. {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} الآيات.

والمقصود أنّ الله عزّ وجلّ ذكر حال الذين أوتوا العلم عند عروض فتن الشبهات، ذلك أنّ الله جعل في قلوبهم السكينة، وجعل قلوبهم صافية رقيقة نافعة بفهم العلم وحفظه والهداية به، لذلك تطمئن قلوبهم وتخضع للحق، وتسكن به، وهذا معنى الإخبات في هذه الآية[6].

---

[1] "نظم الدرر" للبقاعي (5/ 152).

[2] غافر: 35

[3] "التحرير والتنوير" لابن عاشور (17/ 260).

[4] الحج: 52- 54.

[5] "جامع البيان" لابن جرير الطبري (16/ 602- 603) باختصار. وقال ابن كثير –رحمه الله- "قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغَرَانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظَنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم" "تفسير القرآن العظيم" (5/ 441).

[6] يُنظر "نظم الدرر" للبقاعي (5/ 165).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني: فضل المخبتين وعلاماتهم

المطلب الأول: منزلة الإخبات

إنّ منزلة الإخبات إلى الله، من المنازل العظيمة في الدين، وصفة من الصفات التي مدح الله بها عباده المؤمنين، ورتب عليها الفوز بالجنّة التي يحصل بدخولها الفوز العظيم، والنجاة يوم الدين، {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1]. "يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم سكّان الجنّة الذين لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها، ولكنهم فيها لابثُون إلى غير نهاية"[2].

ومن فضل هذه المنزلة عند الله تعالى أنه أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبشّر المخبتين، وحذف المتعلَّق فلم يذكر المبشَّر به، ليعمّ ذلك خير الدنيا والآخرة، فقال: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}[3] أي: "بخير الدنيا والآخرة"[4]. قال ابن عطية: "ثم "ثم أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق، وهي أبلغ من المفسَّرة، لأنها مرسَلة مع نهاية التخيل"[5].

المطلب الثاني: علامات المخبتين

بعد ذكر معنى الإخبات، وفضله، كأن النفس اشتاقت لأن تترقى إلى هذه المنزلة المحبوبة إلى الله تعالى، لتلحق بأولئك القوم، الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشّرهم، فقال: {وبشّر المخبتين}[6]، فتساءلت: من هم المخبتون؟ وما السمات التي تميز هذه الفئة عن غيرهم؟ فجاء الجواب في الآية التي تليها، تفسيرًا لما قبلها، فقال: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[7].

وذلك أيضًا موافق لترتيب نزول القرآن، فبعد أن ذكر الله تعالى الإخبات في سورة هود وهي مكية، جاء تفسيره في هذه السورة المدنية مبيَّنًا.

---

[1] هود: 23.

[2] "جامع البيان" لابن جرير الطبري (12/ 376).

[3] الحج: 34.

[4] "تيسير الكريم الرحمن" للسعدي ص538.

[5] "المحرر الوجيز" لابن عطية (4/ 121).

[6] الحج: 34.

[7] الحج: 34- 35.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه العلامات يذكرها الله تعالى لحكمة عظيمة، وهي أنّ العبد يمتحن نفسه في تحقيق اتصافه بمنزلة الإخبات. ووذلك أنّ الإنسان إذا ادّعى منزلةً ما فعليه أن يثبت تلك الدعوى بالبينة، وإلا لم يكن صادقًا في دعواه، كما ادّعى قومٌ محبة الله تعالى فابتلاهم الله بقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[1]، وهكذا من ادّعى أنه من المخبتين فليعرض نفسه على هذه الآية، التي اشتملت على علامات المخبتين. وهي:

العلامة الأولى: وجل القلوب عند ذكر الله عزّ وجلّ

قال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ} أي الذي له الجلال والجمال {وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} الوجل الخوف الشديد[2]. أي خافت خوفًا مزعجًا[3]، وحذرت مخالفته، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه[4].

فالمخبتون هم الَّذِينَ تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، وَتَخْضَعُ مِنْ خَشْيَتِهِ، وَجِلًا مِنْ عِقَابِهِ، وَخَوْفًا مِنْ سَخَطِهِ. وقال ابن زيد: لا تقسوا قلوبهم[5].

وهذه الآية نظير قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[6] وقوله تعالى : {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}[7]، هذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته عند المواعظ[8].

المواعظ[8].

فإن قيل: قد عُلم أنّ من معاني الإخبات الطمأنينة والسكون إلى الله، وفي هذه الآية وصف الله المخبتين بأنهم {إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} فكيف تكونُ الطمأنينةُ والوَجَل في حالةٍ واحدةٍ؟

"قيل: الوَجَل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه"[9].

---

[1] آل عمران: 31.

[2] "التحرير والتنوير" لابن عاشور (17/ 261).

[3] "نظم الدرر" للبقاعي (5/ 152).

[4] "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (14/ 392).

[5] "جامع البيان" لابن جرير الطبري (16/ 552).

[6] الأنفال: 2.

[7] الزمر: 23.

[8] "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (14/ 393- 394).

[9] "معالم التنزيل" للبغوي (4/ 315- 316).

العلامة الثانية: الصبر على الأذى في سبيل الله

{وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ} من البلايا والمحن في طاعة الله[1]، ومِنْ شِدَّةٍ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَنَالَهُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ فِي جَنْبِهِ[2].

ومناسبة ذكر الصبر هنا أنه لما كان في ذكر الحج، وكان ذلك مَظِنّةً لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد، قال عاطفًا غير مُتبع، إيذانًا بالرسوخ في الأوصاف: {والصابرين} الذين صار الصبرُ عادتَهم {على ما أصابهم} كائنًا ما كان[3].

العلامة الثالثة: إقامة الصلاة وإدامتها

{وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ} أي الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال[4]، والمعنى أنهم يؤدون حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه[5].

وإقامة الصلاة "لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة. فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرًا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها. وإقامتها باطنًا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}[6] وهي التي يترتب عليها الثواب. فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها"[7].

ومناسبة ذكر الصلاة هنا أنه لما كان ما يحدث في الحج من كثرة الخلطة شاغلًا عن الصلاة، قال: {والمقيمي الصلاة} أي وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل. ولذلك عبّر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع ذلك المشاق والشواغل إلا الأراسخ في حبّها ، فهم – لما تمكن من حبِّها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها – كأنهم دائمًا في صلاة[8].

---

[1] "فتح القدير" للشوكاني (3/ 617).

[2] "جامع البيان" لابن جرير الطبري (16/ 552).

[3] يُنظر "نظم الدرر" للبقاعي (5/ 152).

[4] "فتح القدير" للشوكاني (3/ 617).

[5] يُنظر "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (5/ 425).

[6] العنكبوت: 45.

[7] "تيسير الكريم الرحمن" للسعدي ص41.

[8] يُنظر "نظم الدرر" للبقاعي (5/ 153).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العلامة الرابعة: الإنفاق

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} "أي: وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر، ويضعونه في مواضع الخير، من النفقة على أهليهم وأرقائهم وقراباتهم، وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله. وهذه بخلاف صفات المنافقين، فإنهم بالعكس من هذا كله، كما قال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}[1].[2].

ولم يذكر المنفَق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي، قربة إلى الله"[3].

"ولما كان ما يحصل فيه من زيادة النفقة ربما كان مقعدًا عنه، رغّب فيه بقوله : {ومما رزقناهم} فهم لكونه نعمة منا لا يبخلون به، ولأجل عظمتنا يحسنون ظنّ الخُلْف {ينفقون} أي يجددون بذله على الاستمرار ، بالهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك، إحسانًا إلى خلق الله، امتثالاً لأمره كالخبت الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء والمرعى"[4].

"وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع، فليس المقصود من جمع تلك الصفات؛ لأن بعض المؤمنين لا يجد ما ينفق منه، وإنما المقصود مَن لم يخلْ بواحدة منها عند إمكانها"[5].

"وروي أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم"[6].

---

[1] التوبة: 54.

[2] يُنظر "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (5/ 435) و"فتح القدير" للشوكاني (3/ 617).

[3] "تيسير الكريم الرحمن" للسعدي ص41.

[4] "نظم الدرر" للبقاعي (5/ 153).

[5] "التحرير والتنوير" لابن عاشور (17/ 261).

[6] "المحرر الوجيز" لابن عطية (4/ 122).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة الموضوعية للإخبات في القرآن الكريم، توصلتُ للنتائج التالية:

- أنّ أصل معنى الإخبات هو ما اتسع من بطون الأرض، ثم استعمل استعمال اللين والتواضع. لأنّ المتواضع؛ كأنه سلك نفسه في الانخفاض.
- أنّ الإخبات إلى الله يرجع إلى معنى التواضع، والسكون إلى الله.
- أنّ السلف فسّروا الإخبات إلى الله بعدّة أقوال، منها: الإنابة، والخوف، والخشوع والتواضع، والطمأنينة.
- أنّ اختلاف المفسرين في معنى الإخبات إلى الله اختلاف في اللفظ، وإلا فالمعاني متقاربة، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا؛ لِأَنَّ الْإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَمِنَ الْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْخُشُوعِ لَهُ.
- أنّ الله ذكر صفات المخبتين، في سورة الحجّ، وذكر العلماء في ذلك مناسبة، وهي أنّ الإخبات بمعنى الطُّمأنينة والتواضع، وهما أنسب شيء لحال الحجاج.
- أنّ الله ذكر حال الذين أوتوا العلم عند عروض فتن الشبهات، وذلك أنّ قلوبهم تطمئن وتخضع للحق، وتسكن به، لما جعل الله فيها من فهم العلم وحفظه والهداية به.
- أنّ المخبتين لهم علامات وسمات بينها الله تعالى في القرآن الكريم، وهذه العلامات أربعة، هي: وجل القلوب عند ذكر الله، وملازمة الصبر في سبيل الله، وإقامة الصلاة وإدامتها، والإنفاق.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع مرتبًا على حروف المعجم:

1. "إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان" لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت751هـ) حققه محمد عزير شمس، ومصطفى سعيد، وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر أبو زيد، بتمويل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد.

2. "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المشهور بـ"التحرير والتنوير" لسماحة الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ)، دار سحنون، تونس.

3. "تفسير القرآن العظيم" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ) حققه سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية 1432هـ - 2011م.

4. "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ) حققه عبد السلام سرحان ومحمد النجار، الدار المصرية.

5. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان" للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ) حققه عبد الرحمن بن معلّا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة 1426هـ- 2005م.

6. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) حققه الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة. الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

7. "الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671هـ) حققه الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى 1433هـ- 2012م.

8. "ديوان امرئ القيس". اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة 1429هـ- 2008م.

9. "صحيح البخاري" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت256) دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية 1419هـ – 1999م.

10. "صحيح مسلم" للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت261هـ) دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية 1421هـ – 2000 م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

11. "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ).

12. "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير" لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ) حققه الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة 1426هـ- 2005م.

13. "لسان العرب" لمحمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت711هـ) حققه عامر حيدر وعبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية.

14. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546هـ) حققه عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ- 2001م.

15. "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت751هـ) حققه عبد العزيز ناصر الجليّل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى 1423هـ.

16. "معالم التنزيل" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت516هـ) حققه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة 1417هـ - 1997م.

17. "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ- 2001م.

18. "معجم مقاييس اللغة" لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ) حققه محمد عوض وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى 1422هـ

19. "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني (ت في حدود 425هـ) حققه صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الثالثة 1423هـ- 2002م.

20. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ) حققه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة 1432هـ 2011م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات:

م	الموضوع	الصفحة
1	**المقدمة**	3
2	**المبحث الأول: حقيقة الإخبات، وفيه مطلبان:** - المطلب الأول: معنى الإخبات لغة	5
3	- المطلب الثاني: الإخبات في القرآن الكريم	6
4	**المبحث الثاني: صفات المخبتين، وفيه مطلبان:** - المطلب الأول: منزلة الإخبات	9
5	- المطلب الثاني: علامات المخبتين	9
6	**الخاتمة**	13
7	فهرس المصادر والمراجع	14
8	فهرس الموضوعات	16